

ليلة في النادي

العلامة الشيخ طنطاوي جوهري

كانت دعوة يوم الخميس الثاني من شهر مارس سنة ١٩٣٩ ، فدلنا إلى النادي عدد غير قليل من كبار المتخرجين في دار العلوم .. وأخذنا نسمر في رفق وأناة بين قديم وحديث ، ننظر ، ومن ننظر ؟ ننظر شيخا من كبار أبناء الدار يحاضرنا في «الغذاء الصحي» . شيخ يحاضر في الغذاء الصحي ، لانطاسي كبير ، ولا طبيب بارع . أمر عجيب ! وحديث غريب !

مكثنا والأفكار تستبق إلى أذهاننا ، وتتراد على خواطرننا بين جزر ومد ، وارتفاع وانخفاض ، فإذا خطوات وثيدة في قوة ، وحركات هادئة في صبوة ، تتقدم بصاحبها إلى ردهة النادي فيبدو شيخ يحمل على ظهره سبعة وسبعين عاما ما أحوجت سمعه إلى ترجمان ، ولا غضت من رونق محياه ، فما يضر البدر أن امتد به الزمن ، وطالت عليه الحقب ، فكان استقبال ، وكانت حفاوة بالعالم الفذ الفيلسوف المصري الشيخ طنطاوي جوهري ! فحاس وهو يرسل ابتسامة صافية من وجه مشرق ، وطالعة نضيرة ، ووجه مشرب بالحرارة ، تحيط به هالة من لحية بيضاء ، كان صائما فقدمت إليه مائدة ، لا تظن أن عليها - كما في عرفنا - مالذ وطاب . لا بل كل ما عليها حبات من (الطماطم الحمراء) طلبها الفطوره ، فكانت براعة استهلال لمحاضرته .

وقعد يستغفر ربه بعد صيامه ، ويسبحه بعد صلاته . فقام رئيس النادي الأستاذ محمد نجيب حتاته يقدم معروفا ، ويصف موسوما ، وعقبه الأستاذ عبد الحميد حسن فكشف عن بعض نواحيه ، وأبان عن مراميه ، وأعلن عن

ترشيحه لجائزة نوبل للسلام التي سأحدثك عنها فيما بعد، ثم وقف المحاضرين التصفيق والتهليل.

نبذة عن المحاضرة

حكى أنه كان يشكر آلام أعداءه من نزف يعتري الشيوخ فيقضى على حياتهم، ومن وجع المفاصل (الروماتزم) ومن أملاح تثقل خطواته، ومن ضعف في الذاكرة ينسيه الكثير من أعماله، ومن اضطراب في الأعصاب يقفه عن كثير من رغباته، ومن قبض وإمساك، يجعله محصوراً لا يذ له طعام ولا شراب، ومن الغريب أن يمرض هذه الأمراض امتدت به من شبابه إلى شيخوخته حتى أحيل إلى المعاش، فأنكب على تفسير القرآن حسبة لوجه الله، ومزج علوم الأمم حديثها وقديمها بالقرآن، رابطاً كل ما جد من مختلف النظريات في مختلف الفنون، بمعاني آي الله، كاشفاً عن بعض أسرار كتابه، فكانت له نظرة عميقة في الطب، لا من الوجهة الفنية فحسب، بل من الوجهة الفلسفية الصوفية الواردة في أبحاث كثير من مثقفي الفكر، المشغولين بالنظر في مناحي الحياة. استكناها لأسرارها، وتحقيقاً لبعض نوازعها. هذا إلى روحانية الأستاذ، وصفاء نفسه، فكان أن عدل عن أكل الخبز المعتاد، وأقبل على خبز مأخوذ من المادة المعروفة (بالسن) أو من القمح من غير أن ينخل، ثم أقل على الخضر يأكلها بعد تعقيمها بالماء المالح من غير إنضاج، بل لقد حكى أنه يأكل الدباء (القرع) من غير إنضاج إذ من نظرياته أن ما يدخل النار من الخضر يموت، وينفقد جميع مميزاته.

ومن نظرياته تجنب السكر والملح وما يتولد منهما، فهو لا يأكل الأطعمة المحلاة بالسكر، ولا يضع على ما يأكل ملحاً، وينصح بترك السمن والاستعاضة عنه بالزبد، على أن الزيت يفضل الاثنين، ومن الغريب أنه يفضل ترك اللبن إلا إذا أخذ مباشرة من الثدي إلى الفم، لم يتعرض لجراثيم الجو. وتعاطيه على

الحالة الراهنة التي نستعمله عليها الآن من غير إغلاء - أفضل من الإغلاء ، وذلك بناء على تجاربه الخاصة ، وتجارب بعض العلماء .

وأنواع السعوم عنده مما يتناوله الناس عادة ثلاثة : الخمر والصافي منه سم صاف ، ثم الشاي ، ثم القهوة ، وينصح بتعاطي الحلبة بأية طريقة نيابة عنهما ، ولا شك أن الدخان عنده من المحرمات ، وأنواع القواكه له محبة ، وأولها في القيمة الغذائية البرتقال .

هذا وقد قدم نفسه برهانا على صحة ما يقول؛ فإنه يعيش على هذه الطريقة، وقد بلغ السابعة والسبعين من عمره ولا يشعر بأي ضعف في صحته ، متمتعاً بتفكير صحيح ، وذاكرة قوية ، وقوة جسمية ، ولقد أشار بطريقته هذه على بعض الأفراد ومن بينهم الأطباء فاتبعوها فأتت بأطيب الثمرات ، وعادوا أصحاء بعد مرض اعتري بعضهم فأقعدهم عن العمل ، ثم أصبحوا منعمين بحياة طيبة .

الشيخ طنطاوى

وتقدير الملوك والعلماء في الشرق والغرب لأبحاثه

وقعت تحت يدي بعض تقارير الملوك الشرق، وعلماء الغرب لأبحاثه العميقة، رشحت لجائزة نوبل للسلام، أحبت أن أضع بعضها تحت أعين قراء الصحيفة ليعرفوا عن أستاذهم من طريق العلماء في الشرق وفي الغرب ما لم يعرفوه عنه وهو بين ظهرائهم . وهذا مأخذ يؤخذ على المصريين جميعاً من غير شك.

نشر الأستاذ ٢٨ كتاباً توجهها بكتابين « أين الإنسان » و « أحلام في السياسة » كانت لها شهرة فائقة بين علماء أوروبا ، وإليك بعض تقارير ملوك الشرق وعلماء أوروبا وجمعياتها :

أرسل إليه حضرة صاحب الجلالة رضا شاه بهلوى رسالة بقلم معالي وزير

خارجية إيران ، وقد ذهب معالي الوزير المقوض لإيران إلى الشيخ طنطاوى
في منزله ، وسلمه الخطاب ؛ تكريماً له ، واعتزافاً بفضله . وجلالة الإمبراطور
لم يشكر الأستاذ عفواً ، بل لقد رفع له تقرير مؤرخ ١٤ / ٥ / ٤ عن قيمة
كتاب « أحلام في السياسة »

وكذلك بعث إليه خطاب تندير حضرة صاحب الجلالة ملك العراق .
وجاء في كتاب مفكرى الإسلام للبارون (كرادى قو) فى المجلد
الخامس منه :

وصف إجمالى للنهضة المصرية الحديثة ، ثم قال : —

« وللشيخ طنطاوى جوهرى القدر المعلى نذكره هنا قبل الكلام على
كتابه « أين الإنسان » ثم قال : « إننا سندين ثلاثة المظاهر الرئيسية لتطور
مصر الحديث » ثم كتب أمام المظهر الثانى « العناية التى أظهرها رجلان من
رجال الدين وهما الشيخ محمد عبده ، والشيخ طنطاوى ، فى تمثيل الدين الإسلامى
وتأثيره فى النفوس للنهوض بها إلى التطور الحديث »

وجاء فى هذا الكتاب فيما بين صفحة ٢٧٥ و صفحة ٢٨٤ فى الجزء الخامس
عن كتاب « أين الإنسان » بعد أن قرظ تفسير الأستاذ للقرآن الشريف
أحسن تقرىظ قال : —

« وقد نشر الشيخ طنطاوى كتاب « أين الإنسان » المطبوع سنة ١٩١١
الذى قرظه الأستاذ « ساتيلانه » الطليانى العالم الكبير فى المجلة الشرقية برومه
لسنتها الرابعة . وللاستاذ كتب أخرى مثل « نظام العالم والأمم » و « نهضة الأمة
وحياتها » وكتاب أين الإنسان هذا وضعه المؤلف بطريقة رواية فلسفية
سياسية ، وهو فى هذا يشابه الفارابى من حيث أصل الفكرة ، وابن طفيل من
حيث الأسلوب والمنهج ، فجمع بين دقة الفكر ، وجمال الأسلوب وغيرهما .
ثم قال : « الأستاذ فى هذا الأسلوب يذكرنا بأساليب علمائنا وأدبائنا

في أوروبا مثل «توماس موروس» و«كامبانيلا» ومعاصرنا «هانرينز» .
ثم عرج على وصف الأستاذ للجمعية الانسانية وصفا لا يشرفها، وأنه يتعنى
أن تكون الدول جميعها مؤسسة نظامها على الحب العام، وتبادل المنافع، ثم وازن
بين فكرة الأستاذ طنطاوى وفكرة «دارون» الإنكليزي الذي قفى على آثاره فيها
«نيتشه» الألماني، وهي إبادة الضعفاء وغلبة الأقوياء . وندد المؤلف بالدول لأنها
ثبتت أمرها على أساس تبادل الحرب، وتخريب المدن، وقعة السلاح، تمشيا مع
نظرية الآخرين .

وبعد أن اقتبس أمثلة تمثل سمو خيال الأستاذ وتوضح المقصود من محاوراته
التصويرية قال :

« فتل هذا الكتاب المملوء حكمة وعلما، الغزير المادة، السامى الفكرة، الناتج
عن تفكير عميق، وبحث يقل نظيره — يدعو دعوة حارة إلى سعادة الأمم
أجمعين، ويدعو أيضا بالحفاة الشديدة إلى التجديد العام . وهو مفخرة لمصر
والإسلام، وقد قدم هذا السفر الجليل إلى مؤتمر الأجناس المنعقد فى لندن فى
شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٩١١ »

تقرير الفيلسوف سانتيلانا الإيطالى

وهذا بعض ما جاء فى مجلة العلوم الشرقية . للأستاذ سانتيلانا الإيطالى فى
سنة ١٩١١ تقرير لكتاب « أين الإنسان »

« ليس من يجهل بمصر الشيخ طنطاوى جوهرى المدرس بمدرسة المعلمين
الناصرية (دار العلوم) فهو ذلك الكاتب النحرير، والمحرر الشهير، ذلك الإنسان
ذو العقل الكبير، بل هو أحد رؤساء الحركة السياسية الاجتماعية، التى انتشرت فى
كافة طبقات الشعب الإسلامى تحت اسم الجامعة الوطنية . تلك الحركة ترمى إلى
الاستقلال السياسى، والإصلاح الدينى، طبقا لمنهج مرسوم بعيد المدى، مشوب
بشيء من الإبهام، وذلك بقصد التوفيق بين العلم وما جاء به القرآن الكريم . . . »

إلى أن قال : فما دون في هذا المعنى كتابان جديران بالذكر ، وهما « نظام العالم والائتم » و « نهضة الامة وحياتها » .

وآخر ماصدر من مؤلفات ذلك العلامة الكثير الآثار هو كتاب « أين الإنسان » ذلك الكتاب الحديث الذي انتشر منذ عهد قريب ، وهو الذي أردنا التعريف عنه أخيرا ... ثم قال « والحق يقال إنه لعمل جليل عظيم في قالب اجتماعي سياسي ، ليس موجهاً إلى المصريين فقط ، بل للعالم كله ؛ لأن المسألة التي يريد حلها هي مسألة العالم بالإجماع .

وقال في صفحة ٧٧٣ بعد أن لخص الكتاب مانصه :

« هذا كتاب الشيخ طنطاوى جوهرى الذى أردنا أن نوسع له في مجلتنا ، وماهى بالعادة المتبعة لديها ؛ لأن ذلك الكتاب من الكتب العظيمة الدالة في الوقت الحاضر على مبلغ أفكار وشعور الطبقة الراقية الاسلامية .

تقريب عالم ألمانى :

جاء في خطاب العلامة يوسف شخت الألمانى مانصه :

جناب الأستاذ المحترم الشيخ طنطاوى جوهرى دام بقاؤه !

إنا تلقينا بيد السرور من جناب الأستاذ « جيفرى » نسخة التقاريف لكتابكم المسمى « أين الإنسان » وقرأناها بكل ما تستحقه من الدقة واليقظان ، مع أننا نحتاج إلى تقريب لكتاب قد اشتهر بين المستشرقين لما فيه من الصحة واليقين ، وكنا نعرف بناء أفكاره مع حرمان معرفة معماره — فإننا الآن مسرورون جدا بفرصة المكاتبة لجنابكم ، ونسأل الله الزيادة بالتعارف الشخصى ، في وقت قريب إن شاء الله »

وبعد ذلك عرض لفكرة الأستاذ « جيفرى » في ترجمة الكتاب إلى اللغة الألمانية ، فأبان له أن للمسألة وجهين : على وعمل ، أما من حيث الأولى فالمستشرقون الألمان ليسوا في حاجة إلى تقريب للكتاب ولا تعريف به فهو

معروف عندهم مشهور فيما بينهم، أما من حيث الوجه العملي فالأزمة العالمية لها أثرها، وتاريخ هذا الخطاب ٣ - ٥ - ٣٤
والأستاذ شخت هو أستاذ اللغات الشرقية بجامعة كونسبرغ بألمانيا.

العلامة جيب الانسكيزي :

وكذلك قرطه العلامة جيب أستاذ اللغة العربية في كلية الآداب الشرقية في جامعة لندن في كتاب أرسله إلى الشيخ طنطاوي، بعد أن أرسل إليه الأستاذ جيفري أيضا يسأله عن يتولى ترجمة الكتاب « أين الانسان » إلى اللغة الإنجليزية .

الجمعية الآسيوية الملكية :

وقرطت الجمعية الآسيوية الملكية كتاب « أحلام في السياسة » بقلم العلامة مارغليوس سنة ١٩٣٧ وقد وازن هذا بين الشيخ طنطاوي وكانت الألمانى في السلام العام فقال : إن عنوان هذا الكتاب يذكرنا بكتابين نشرهما العلامة كانت الألمانى في السلام العام ، فإنه وإن كان عالما بعلمى الرياضة والفلك لم يستعملهما في السلام العام . أما الشيخ طنطاوي جوهرى فإنه قد أدخل فيه هذين العلمين ، وأضاف إليهما علم النبات والكيمياء والتشريح وعلم النفس ، فهذه العلوم كلها قد جعلها المؤلف وسيلة توصل بها إلى حل مشكلة السلام العام .

العلامة كرسفان جوب من كونسبرغ :

حين كان يحاضر في جمعية الشبان المسلمين وقد نشر المقطع عنه في عدد مساء سبت ٨ يناير سنة ١٩٣٨ ما نصه :
وختم محاضرته بالإشادة بآراء العالم الفيلسوف الشيخ طنطاوي جوهرى في هذا الموضوع ، وقال : إنه حضر إلى مصر هذه المرة خصوصا للتشرف بمعرفة شخصيا بعد ما عرفه عن بعد ، وترجم كتابه « أحلام في السياسة » ، « وأين الانسان » ، وبين أن الكتاب الأخير يبحث في أعقد المشكلات العالمية

بحثا عجزت أوروبا إلى اليوم عن الإتيان بمثله ، قال ... « إني أعلن أن خير كتاب أخرج للناس في هذا الشأن هو كتاب « أين الانسان » الذي يرسم للعالم بأسلوب فلسفي عميق طريقه المستقيم إلى السلام الدائم ، الذي رسمه الله في قوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »

العلامة كريستيان

وقد ألقى العلامة كريستيان محاضرة في جمعية الشبان المسلمين يناير سنة ١٩٣٨ عن الشيخ طنطاوى استهلها بما يأتي :

إن أعظم فيلسوف في مدرسة سائنس ديوجين ، المشهور بما خاطب به الإسكندر المقدوني الكبير ، وذلك أن الإسكندر قال له : ماذا تمنى أن أعطيك ؟ فأجابه لن أتمنى إلا أن تزحزح من أمامي حتى يشع نور الشمس على برميلي ، وقد كان يرفع المصباح في يده وهو يتفقد الطرقات ، ويقول : أين الانسان ؟ إن واحدا من عظماء فلاسفة المصريين المعاصرين قد فعل أعظم من هذا الفيلسوف اليوناني ، وقال بحق « أين الانسان » مسميا به كتابا نشره للسلام العام ،

ثم أخذ يفصل فضل الشيخ طنطاوى ، وتعرض لإلقاء شعاع على هذا الكتاب « أين الانسان » أوضح مغزاه وما رسم فيه في محاضرته .

هذا وقد وقعت في يدي جريدة قتي النيل المؤرخة يوم الأحد ١٢ مارس

سنة ١٩٣٩ - ٢١ المحرم سنة ١٣٥٨ .

وفيها مقال للأستاذ محمد حسن الأعظمي الهندي عضو جماعة الأخوة الإسلامية المكونة من جميع الأقطار الإسلامية - عن الشيخ طنطاوى جوهرى الذى انتخب رئيس لجنة المحاضرات لهذه الجماعة ، التى تضم أشخاصا ليسوا

مصريين بل نزحوا إلى الديار المصرية للعمل في جماعتهم، لمجد الإسلام والمسلمين، وقد جاء في مقال الأستاذ :

« لم تشتهر في الشرق شخصية من المصريين كما اشتهر شيخنا العلامة الشيخ طنطاوى جوهرى . ومن يشك في هذا فليدرك في أقطار الهند والفرس والصين والتركستان وأندونيسيا والعرب وغيرها من الشرق ، وسيجده إن شاء الله علما مرفوعا فيها . وإنى لست بمبالغ لو قلت : إنه كما أحسن إلى مصر لتعريفه إياها الشرقيين، لم تحسن مصر إليه فإنك تجد في الشرق من عرف مصر بعد معرفته شيخنا . والشرقيون يعتقدون فيه أنه المصرى الوحيد الذى عرف الثقافة الدينية والحديث أتم المعرفة . والرجل الذى ليس هكذا خطر على رقى المسلمين فى عصرنا هذا . فالناس لا يعتمدون على رجل دينى محض ، ولا على رجل عصرى محض ؛ لأن الأول يقود الناس إلى وادى الجحود ، والثانى يجرهم إلى بحر الجحود . ولعلكم تدهشون لو سمعتم أن التركستانيين لما استقلوا استقلال تاما ، وأقاموا جمهورية إسلامية برياسة مسلم « الحاج تياز » وابتدءوا فى إقامة المدارس والجامعات اتفقوا على أن يسموها باسم شيخنا طنطاوى جوهرى ، وفعلا سموها حسب اتفاقهم جامعة طنطاوية ومدارس جوهرية وهكذا... وألف زعماءهم وعلماؤهم كتباً فى لغتهم للتدريس فى هذه الجامعات والمدارس باسم شيخنا مثل « كتاب العقائد الجوهرية » وغيره ؛ لأنه فى عقيدتهم حجة الشرق وفيلسوف الإسلام ، وتصانيفه منتشرة فى الشرق ، فهو نجم لامع يستضيئون به ويحترمونه ، ولكنه مع الأسف الشديد مفقود فى إخواننا المصريين لأنه بين أيديهم ، وكل شيء يستحسن بعد غيابه » .

وبعد ذلك ذكر لقاءه معه وعرضه عليه الانضمام إلى هذه الجماعة فرحب بالفكرة وانضم وأظهر نشاط الشباب، ثم ذكر طائفة من كتبه وبين أن كثيرا منها ترجم إلى أكثر من لغة شرقية، ثم عرض لتفسيره المسمى « جواهر تفسير القرآن » وقال عنه :

« وتفسيره الوحيد كافي لمعرفة هذا الشخص العظيم، فإنه فهم كتاب الله الذي أنزله على رسوله في مدة ثلاث وعشرين سنة، محتويا كل العلوم والفنون والتعليمات العلمية والنظريات الجامعة. أحسن الفهم فكتب تفسيره موافقا بين النظريات الحديثة والدينية، فوق كل التوفيق »

وقد أخذ بعض علماء الهند في ترجمة التفسير إلى اللغة الأردية المنتشرة في الهند، فأقبل عليه أهل الهند إقبالا عظيما.

بما ذكرت واقتبست يتبين للقارى مقدار استحقاق الشيخ طنطاوى لجائزة نوبل للسلام. ومن التقارير التي قدمت يتبين أن أعظم كتاب أخرج للناس في السلام العام هو كتاب « أين الإنسان » ولذلك حق للأستاذ أن يتقدم لجائزة نوبل للسلام، إذ الشرط الأساسى لها أن يأتى المرشح بعمل، أو يقوم ببحث في السلم لم يسبق إليه، وقد حاز الكتاب السابق هذا الشرط وإليك نبذة عن جائزة نوبل للسلام :

جائزة نوبل للسلام :

لا تقبل الترشيحات لهذه الجائزة التي تمنح في ١٠ ديسمبر من كل سنة إلا إذا قدمت للجنة نوبل بالبرلمان النرويجى من شخص له حق الترشيح قبل أول فبراير المقدم على ذلك التاريخ.

والأشخاص الذين لهم حق الترشيح هم :

١ - الأعضاء الحالىون والسابقون للجنة البرلمان النرويجى لجائزة نوبل، والمستشارون الملكون بمعهد نوبل النرويجى.

٢ - أعضاء الهيئات التشريعية وأعضاء الحكومات من مختلف الدول، وكذلك أعضاء الاتحاد البرلمانى الدولى.

٣ - أعضاء محكمة التحكيم الدائمة فى لاهاى.

٤ - أعضاء مكتب مجلس السلم الدولى.

- ٥ — أعضاء معهد القانون الدولي والمشترون فيه .
 ٦ — أساتذة الحقوق والعلوم السياسية والتاريخ والفلسفة في الجامعات .
 ٧ — الأشخاص الذين نالوا جائزة نوبل فيما قبل .
 وطبقا لأحكام المادة الثامنة من القانون الأساسي لهيئة نوبل ، يجب أن يكون الطلب مسديا ، وأن يشفع بالمؤلفات والمستندات الأخرى المؤيدة ، وتقضى المادة الثالثة من القانون بأنه لا يقبل أى مؤلف فى المباراة ما لم يسبق نشره فى الصحف .

هذا وقد رشح أستاذنا الجليل لهذه الجائزة حضرة النائب المحترم عبد الحميد بك سعيد ، وحضرة الأستاذ مصطفى بك مشرق عميد كلية العلوم .
 وإنا نلتموه له التوفيق والسداد بمن الله ومشيتته !!

محمود الطنبجى
 المدرس بالخطبوية